تعقبات القرطبي على ابن عطية
سورة البقرة أنموذجا

م.م. شهاب أحمد محمد

كلية التربية الأساسية/ قسم التربية الإسلامية

الجامعة المستنصرية

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه حماة الدين أجمعين.

وبعد...،

يقصد بالتعقبات في التفسير جمع ودراسة استدراكات مفسر ما على مفسر آخر سبقه في علم التفسير أو في فن من فنون علوم القرآن، فالباحث قد يلاحظ أن أحد المفسرين يتعقب كثيرا مفسرا بعينه ويستدرك عليه ويناقشه وينبه على خطئه، والتعقب لا يقتصر على التفسير وحده وإنما يشمل جميع العلوم والفنون.

وفكرة هذا الموضوع تقوم على جمع الباحث هذه الاستدراكات في مكان واحد وترتيبها، ولاشك ان مثل هذا البحث والدراسة له أهمية كبيرة في اطلاع الباحث على الآراء المختلفة وبيان الرأي الصحيح والصائب منها؛ وبذلك تظهر أهمية هذه الدراسات.

ينتمي المؤلفان إلى مذهب فقهي واحد وهو المذهب المالكي، ولكنهم يختلفون من حيث المنهج فابن عطية لم يتوسع مثل توسع القرطبي في تفسير آيات الأحكام والتوسع في ذكر مسائل الخلاف، إلا أنهم يكثرون من نقل المأثور في التفسير.

اقتصرت في هذا البحث على سورة البقرة لكثرة المسائل التي تعقب فيها القرطبي على ابن عطية في تفسيره، اقتضت خطة البحث تقسيمه على مطلبين، تناولت في المطلب الأول التعريف بابن عطية والقرطبي ومميزات تفسيريهما، وتناولت في المطلب الثاني المسائل التي تعقب فيها القرطبي على ابن عطية في سورة البقرة كأنموذج، ثم خاتمة في أهم النتائج المستخلصة من البحث.

المطلب الأول
التعريف بالمفسِّرَين وتفسيريهما

١. ابن عطية:

هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي كان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب بصيرا بلسان العرب واسع المعرفة وله يد في الإنشاء والنظم والنثر وكان يتوقد ذكاء

وله التفسير المشهور المسمى بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز وهو تفسير شريف جليل القدر والشأن قد تداوله فحول العلماء وأثنوا عليه خيرا حتى قال أبو حيان هو أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تصدر للتنقيح فيه والتفسير وقال جماعة من الفضلاء كتاب ابن عطية أجمع وللسنة السنية أخلص وأكمل وكان مولده في سنة ثمانين وأربعمائة وكانت وفاته في خامس عشر من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة للهجرة[١].

مميزات تفسير ابن عطية:

هناك مميزات عديدة لتفسير ابن عطية يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

١. يُعدُّ تفسير ابن عطية من كتب التفسير بالمأثور لخَّصه مؤلفه من كتب التفاسير كلها أي تفاسير المنقول وتحرَّى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى[٢] وقد لاقى تفسيره رواجاً وقبولاً بين الناس.
٢. إبداع ابن عطية في تفسيره حتى ذاع صيته وصار أصدق شاهد لمؤلفه بإمامته في العربية وغيرها من النواحي العلمية المختلفة.
٣. عقد أبو حيان في مقدمة تفسيره مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري فقال «وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص، وأغوص»[٣]، كذلك نجد ابن تيمية يعقد مقارنة بين الكتابين كتاب ابن عطية وكتاب الزمخشري فيقول «وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثاً، وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير»[٤].
٤. يذكر ابن عطية الآية ثم يفسِّرها بعبارة عذبة سهلة، ويورد من التفسير المأثور ويختار منه في غير إكثار، وينقل عن ابن جرير الطبري كثيراً، ويناقش المنقول عنه أحياناً، كما يناقش ما ينقله عن غير ابن جرير ويرد عليه، وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي، مَعنِي بالشواهد الأدبية للعبارات، كما أنه يحتكم إلى اللغة العربية عندما يُوجه بعض المعاني، وهو كثير الاهتمام بالصناعة النحوية، كما أنه تعرض كثيراً للقراءات ويُنزل عليها المعاني المختلفة[٥].

٢. القرطبي:

هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان المسمى بجامع أحكام القرآن وهو كتاب من أجلّ الكتب، صنف كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وهو إمام متفنن متبحر في العلم كانت شخصية تظهر قوية في تفسيره متمثلة بمزج أقوال المفسرين وعرضها بصورة متماسكة لا خلل فيها ولا اضطراب ونقده الأقوال التي لا يرتضيها والتي يرى أن الصواب بخلافها له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله توفي بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى بمصر سنة إحدى وسبعين وستمائة للهجرة[٦].

مميزات تفسير القرطبي:

هناك مميزات عدة لتفسير القرطبي يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

١. كان القرطبي ينقل عن السَلَف كثيراً، مما أُثِر عنهم في التفسير والأحكام، مع نسبة كل قول إلى قائله، كما ينقل عمن تقدمه في التفسير، خصوصاً مَن أَلَّف منهم في كتب الأحكام، مع تعقيبه على ما ينقل منها. وممن ينقل عنهم كثيراً ابن جرير الطبري، وابن عطية، وابن العربي، والكيا الهراسى، وأبو بكر الجصَّاص.

٢. وصف العلامة ابن فرحون[٧] هذا التفسير فقال «هو من أجَلِّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ»[٨].

٣. يلاحظ على القرطبي أنه توسع في ذكر مسائل الخلاف ما تعلق منها بالآيات عن قُرب، وما تعلق بها عن بُعد، مع بيان أدلة كل قول.

٤. كان القرطبي لا يتعصب لمذهبه المالكي، بل يمشى مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه الصواب أياً كان قائله، وكان يدافع عمن يهاجمهم ابن العربي من المخالفين، مع توجيه اللَّوم إليه أحيانا، على ما يصدر منه من عبارات قاسية في حق علماء المسلمين، الذاهبين إلى ما لم يذهب إليه، وقد أشاد الدكتور الذهبي بالقرطبي عندما ختم حديثه عنه فقال «وعلى الجملة فان القرطبي رحمه الله في تفسيره هذا حر في بحثه، نزيه في نقده، عف في مناقشته وجدله، ملم بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن استطرد إليه وتكلم فيه»[٩].

المطلب الثاني
المسائل التي تعقب القرطبي فيها على ابن عطية

إن المسائل التي تعقب فيها القرطبي على ابن عطية كثيرة، ولا يحيط بها هذا البحث الموجز لذلك اقتصرت على سورة واحدة كنموذج لهذه الدراسة، وقد بلغت المسائل التي تعقبه فيها تسع مسائل في سورة البقرة مرتبة كالآتي:

المسألة الأولى: تعقب القرطبي على ابن عطية عند تفسير قوله تعالى ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾[١٠] في الكلام على المنافقين، واختلاف العلماء في إمساك النبي ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه بنفاقهم، بأن المالكية ينفصلون عما لزموه من هذه الآية في عدم إراقة دم المنافق والحكم بالظاهر وترك سرائرهم إلى الله بأن الآية لم تعين أشخاصهم فيها وإنما جاء فيها توبيخ لكل مغموض[١١]عليه بالنفاق وبقي لكل واحد منهم أن يقول لم أُرد بها وما أنا إلا مؤمن ولوعُيِّن أحد لما جَبَّ كذبه شيئا[١٢]، قال القرطبي[١٣] هذا الانفصال فيه نظر فإن النبي ﷺ كان يعلمهم أو كثيرا منهم بأسمائهم وأعيانهم بأعلام الله تعالى إياه وكان حذيفة يعلم ذلك بأخبار النبي ﷺ إياه حتى كان عمر ﷺ يقول له يا حذيفة هل أنا منهم فيقول له لا[١٤].

المسألة الثانية: ذهب بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[١٥] إلى أن معنى قوله تعالى **(وَنُقَدِّسُ لَكَ)** أي نصلي لك والتقديس الصلاة [١٦]، لكن ابن عطية قال بأن هذا ضعيف[١٧]، وتعقبه القرطبي بأن معناه صحيح واستدل على ذلك من وجهين:

الأول: إن الصلاة تشتمل على التعظيم والتقديس والتسبيح وكان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده «**سُبُّوح قدوس رب الملائكة والروح**»[١٨].

الثاني: اعتمد على تصريف الفعل فقال وبناء قدس كيفما تصرف فإن معناه التطهير ومنه قوله تعالى ﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ** ﴾[١٩] أي المطهرة وقال تعالى ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ** ﴾[٢٠] يعني الطاهر ومثله ﴿ **بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾[٢١] وبيت المقدس

سمي به لأنه المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب أي يتطهر ومنه قيل للسطل قدس لأنه يتوضأ فيه ويتطهر ومنه القادوس[٢٢] وفي الحديث «**لا قدست أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويها**»[٢٣] يريد لا طهرها فالقدس الطهر من غير خلاف فالصلاة طهرة للعبد من الذنوب والمصلي يدخلها على أكمل الأحوال لكونها أفضل الأعمال والله أعلم[٢٤].

المسألة الثالثة: ذهب ابن عطية عند تفسير قوله تعالى ﴿ **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ** ﴾[٢٥] إلى أن السلوى طائر بإجماع المفسرين[٢٦] إلا أن القرطبي لم يرض هذا القول وقال إن ما ادعاه من الإجماع لا يصح واستند القرطبي في رده لهذا الرأي إلى أقوال علماء اللغة ومنهم المؤرج[٢٧] في أن السلوى العسل وذكر أنه كذلك بلغة كنانة سمي به لأنه يسلى به، وكذلك استند إلى قول الجوهري[٢٨] بأن السلوى العسل[٢٩].

المسألة الرابعة: ذكر ابن عطية عند تفسير قوله تعالى ﴿ **وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ** ﴾[٣٠] والتي كان الخطاب فيها لبني إسرائيل، إن زكاتهم هي التي كانوا يضعونها وتنزل النار على ما تُقبل منها ولا تنزل على ما لم يتقبل، ولم تكن كزكاة أمة محمد ﷺ[٣١]، لكن القرطبي تعقب هذا القول فقال وهذا يحتاج إلى نقل كما ثبت ذلك في الغنائم[٣٢] وقد روي عن ابن عباس إنه قال الزكاة التي أمروا بها طاعة الله والإخلاص[٣٣].

المسألة الخامسة: ذهب ابن عطية عند تفسير قوله تعالى ﴿ **ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ** ﴾[٣٤] إلى أن ما استشهد به الطبري من شعر الأعشى شاهداً على أن الممترين الشاكون في قوله:

تَـــدُرّ عَلَـــى أسْـــوُقِ المُمْتَـــرِيزِ رَكضـــاً إذا مـــا السّـــرَابُ ارْجَحَـــنْ[٣٥]

ليس بصحيح لأنَّ الممترين في البيت هم الذين يمرون الخيل بأرجلهم همزاً لتجري كأنهم يحتلبون الجري منها، فليس في البيت معنى من الشك كما قال الطبري[٣٦] لكن القرطبي تعقب قول ابن عطية وأكد على صحة قول الطبري من وجهين:

الأول: إن معنى الشك موجود فيه لأنه يحتمل أن يختبر الفرس صاحبه هل هو على ما عهد منه الجري أم لا؟ لئلا يكون أصابه شيء أو يكون هذا عند أول شرائه فيجريه ليعلم مقدار جريه.

الثاني: استدلاله بكلام أهل اللغة، فقد نقل كلام الجوهري[٣٧] إذ يقول «ومريت الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غيره والاسم المِرية بالكسر وقد تضم ومريت الناقة مريا إذا مسحت ضرعها لتدر وأمرت هي إذا در لبنها»[٣٨].

المسألة السادسة: تعقب القرطبي ابن عطية عند تفسير قوله تعالى ﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾[٣٩] إذ رجَّح ابن عطية أن يكون معنى الآية وتزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة، ورجح القرطبي أن يكون معنى الآية التزود بالزاد المتخذ في سفر الحج المأكول حقيقة واستدل على ذلك من عدة وجوه[٤٠]:

الأول: ما رواه البخاري[٤١] عن ابن عباس قال «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس» فأنزل الله تعالى ﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ قال القرطبي وهذا نص فيما ذكرنا.

الثاني: إن هذا الذي ذهب إليه هو قول أكثر المفسرين، الذين فسروا الزاد بالتمر والسويق أو الكعك[٤٢] والسويق.

الثالث: استدل بأقوال عدد من العلماء منهم على سبيل المثال لا الحصر أبو الفرج بن الجوزي الذي قال وقد لبس إبليس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ[٤٣].

المسألة السابعة: قال ابن عطية عند تفسير قوله تعالى ﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ** ﴾[٤٤] إن القرآن يقتضي التفضيل وذلك في الجملة دون تعيين أحد مفضول وكذلك هي الأحاديث ولذلك قال النبي ﷺ «**أنا أكرم ولد آدم على ربي**»[٤٥] وقال «**أنا سيد ولد آدم**»[٤٦] ولم يعين وقال عليه الصلاة السلام «**لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى**»[٤٧] وقال «**لا تخيروني**

على موسى»[٤٨] قال ابن عطية وفي هذا نهي شديد عن تعيين المفضول لأن يونس عليه السلام كان شابا وتحمل أعباء النبوة فإذا كان التوقيف لمحمد ﷺ فغيره أحرى، لكن القرطبي ردَّ هذا الرأي بما يأتي:

أولاً: إن التفضيل يكون في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات ولذلك منهم رسل وأولوا عزم ومنهم من أُتخذ خليلا ومنهم من كلَّم الله والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما مُنِح من الفضائل وأعطي من الوسائل وقد أشار ابن عباس رضي الله عنهما إلى هذا فقال «إن الله فضل محمدا على الأنبياء وعلى أهل السماء فقالوا بم يا ابن عباس فضله على أهل السماء فقال إن الله تعالى قال ﴿ **وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[٤٩] وقال لمحمد ﷺ ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾[٥٠] قالوا فما فَضْلُهُ على الأنبياء قال الله تعالى ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ** ﴾[٥١] وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾[٥٢] فأرسله إلى الجن والإنس»[٥٣] قال القرطبي وهذا نص في التعيين.

ثانياً: استدل القرطبي على ما ذهب إليه بقول أبي هريرة رضي الله عنه «خيرُ بني آدم نوح وإبراهيم وموسى ومحمد ﷺ وهم أولو العزم من الرسل»[٥٤] وهذا نص من أبي هريرة أيضا في التعيين.

ثالثاً: معلوم أن من أرسل أفضل ممن لم يرسل فإن من أرسل فضل على غيره بالرسالة واستووا في النبوة إلى ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم وهذا مما لا خفاء فيه.

رابعاً: إن تعيين الفاضل ظاهر وهكذا القول في الصحابة إن شاء الله تعالى اشتركوا في الصحبة ثم تباينوا في الفضائل بما منحهم الله من المواهب والوسائل فهم متفاضلون بتلك مع أن الكل شملتهم الصحبة والعدالة والثناء عليهم[٥٥].

المسألة الثامنة: ذهب ابن عطية إلى أن العلماء والصالحين يشفعون يوم القيامة فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين أو وصل ولكن له أعمال صالحة، ذكر هذا عند تفسير قوله تعالى ﴿ **مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾[٥٦] لكن القرطبي تعقبه

ورد عليه بما رواه مسلم في صحيحه الذي بين فيه كيفية الشفاعة بيانا شافيا وقال: وكأنه رحمه الله (أي ابن عطية) لم يقرأه وأن الشافعين يدخلون النار ويخرجون منها أناسا استوجبوا العذاب، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري «**ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم** قيل يا رسول الله وما الجسر قال **دَحْض مَزَلَّة**(٥٧) **فيه خطاطيف وكلاليب وحسك**(٥٨) **تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس**(٥٩) **في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنين من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا**، وكان أبو سعيد الخدري يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا** ﴾(٦٠) **فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض؟** فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال **فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا**»(٦١)، ثم قال دلت هذه الأحاديث على أن شفاعة المؤمنين وغيرهم إنما هي لمن دخل النار وحصل فيها أجارنا

الله منها وقول ابن عطية ممن لم يصل أو وصل يحتمل أن يكون أخذه من أحاديث أُخر والله أعلم[٦٢].

المسألة التاسعة: ضعَّف ابن عطية[٦٣] قول المهدوي[٦٤] في إطلاق الإعصار على الريح التي تلتف كالثوب إذا عصر وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾[٦٥] إلا أن القرطبي تعقب ابن عطية بأن ما ذكره المهدوي صحيح بالمشاهدة والحس لأنه المشاهد المحسوس فإن هذه الريح تصعد عمودا ملتفاً من الأرض إلى السماء[٦٦]، والإعصار ريح شديدة تَقلع الشجر والنبات فيها نار أي شدة حرارة وهي المسمّاة بريح السموم، فإطلاق لفظ نار على شدة الحر تشبيه بليغ[٦٧].

الخاتمة في أهم النتائج المستخلصة

١. إن الكمال لله وحده، فالإنسان مهما كانت درجته ومنزلته العلمية فلابد أن يُستدرك عليه في مسألة أو مجموعة مسائل، فكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا المؤيد بالوحي ﷺ.
٢. تعقبات القرطبي على ابن عطية لا تقلل من أهمية تفسير ابن عطية فقد أثنى العلماء على تفسيره حتى أن بعض العلماء رجحه على التفاسير الموجودة في عصره.
٣. إن الاستدراكات والتعقبات التي قام بها القرطبي تناولت مختلف العلوم والفنون، فكانت الاستدراكات في التفسير، والحديث، واللغة، والفقه، فهي لم تقتصر على علم أوفن مخصوص.
٤. إن القرطبي لم يكن متعصباً لرأيه ومذهبه بل كان يسير مع الدليل حتى يصل إلى ما يراه الحق والصواب، كما أنه لم يشنع على من سبقه من العلماء الذين كانوا يخالفونه الرأي بخلاف غيره من العلماء المتعصبين.
٥. يصنف تفسير ابن عطية كتفسير بالمأثور لان مؤلفه قد لخصه من كتب التفسير بالمأثور ولم يتوسع فيه كثيرا مثل القرطبي.
٦. يصنف تفسير القرطبي كتفسير فقهي بسبب الاستطراد في تفسير آيات الأحكام وذكر المسائل الفقهية ومقارنتها وبيان أدلتها وترجيحها.

هوامش البحث

(١) ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون اليعمري المالكي (ت٧٩٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ١٧٤- ١٧٦، طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ١/ ١٧٥- ١٧٧، طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ١/ ٦٠- ٦١.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ط٥، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م، ١/ ٤٤٠.

(٣) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ١/ ١١٣.

(٤) شرح مقدمة في أصول التفسير، د.مساعد بن سليمان، ط١، دار ابن الجوزي، ٢٤٦.

(٥) التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، ط٧، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ١/ ١٧١- ١٧٣.

(٦) ينظر: طبقات المفسرين، الأدنروي، ١/ ٢٤٦- ٢٤٧.

(٧) إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري: عالم بحاث، ولد ونشأ ومات في المدينة وهو مغربي الأصل، وتولى القضاء بالمدينة، وهو من شيوخ المالكية، له الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب المالكي، وتبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الأحكام ودرة الغواص في محاضرة الخواص وطبقات علماء الغرب وتسهيل المهمات، في شرح جامع الأمهات لابن الحاجب توفي سنة ٧٩٩هـ. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ١/ ٥٢.

(٨) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ٣١٧.

(٩) ينظر: التفسير والمفسرون، ٢/ ٣٣٦- ٣٤٢.

(١٠) سورة البقرة: الآية ١٠.

(١١) أي مطعون في دينه متهم بالنفاق.

(١٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ١/ ٩٥- ٩٦.

(١٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة، ١/ ١٩٨- ٢٠٠.

(١٤) الذي ورد في الأثر: أن عمَر ﷺ كان إذا مات الرَّجل من صحابة النبي ﷺ ممن يظن عمَر أَنَه من أولَئك الرَّهط من المنافقين أَخذ بيَد حذيفة فإن مشى معه صَلَّى عليه وَإن انْتَزَعَ من يَده لم يصَلِّ عَليه عمر وَأَمر من يُصَلِّي عَليه. قال البيهقي هَذَا مُرْسَلٌ. وَقَدْ رُوِيَ مَوْصُولاً مِنْ وَجْهٍ آخَرَ. ينظر، السنن الكبرى، احمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الهند، ١٣٤٤هـ، كتاب المرتد، باب ما يحرم به الدم من الإسلام، ٢/ ٢٥٥، رقم ١٧٢٩٦.

(١٥) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(١٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١/ ٢١١.

(١٧) ينظر: المحرر الوجيز، ١/ ١١٨.

(١٨) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَاب ما يقال في الركوع وَالسجود، ١/ ٣٥٣، رقم ٤٨٧.

(١٩) سورة المائدة: من الآية ٢١.

(٢٠) سورة الحشر: من الآية ٢٣.

(٢١) سورة طه: من الآية ١٢.

(٢٢) وعاء خزفي كالجرة، ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢/ ٣٥٣.

(٢٣) سنن ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب لصاحب الحق سلطان، ٢/ ٨١٠، رقم ٢٤٢٥.

(٢٤) ينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١/ ٧٢٨.

(٢٥) سورة البقرة: من الآية ٥٧.

(٢٦) ينظر: المحرر الوجيز، ١/ ١٤٩.

(٢٧) وهو مؤرج بن عمرو السدوسي كان من أصحاب الخليل بن أحمد كان يقول اسمي وكنيتي غريبان اسمي مؤرج والعرب تقول أرجت بين القوم وأرشت إذا حرشت وأنا أبو الفيد والفيد ورد الزعفران ويقال فاد الرجل يفيد فيدا إذا مات، توفي سنة خمس وتسعين ومائة. ينظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣/ ٢٥٨، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، ٥/ ٣٠٧.

(٢٨) إسماعيل بن حماد الجوهري الإمام أبو نصر الفارابي اللغوي من أبناء الترك سكن نيسابور وتوفي بها سنة (٣٩٣هـ) ثلاث وتسعين وثلاثمائة له إصلاح خلل الصحاح. الصحاح في اللغة، شرح أدب الكاتب، كتاب بيان الأعراب، كتاب العروض، مقدمة في النحو. ينظر: الأعلام، ٣١٣/١، والصواب ابن سيده في المخصص، ١/ ٤٤١، وليس الجوهري لأن الجوهري لم يذكر ذلك في الصحاح.

(٢٩) ينظر: تفسير القرطبي، ١/ ٤٠٨.

(٣٠) سورة البقرة: من الآية ٨٣.

(٣١) ينظر: المحرر الوجيز، ١/ ١٧٣.

(٣٢) إن النبي ﷺ قال «**لم تحلَّ الغنائم لأَحد سُودِ الرؤوس من قبلِكم كانت تنزلُ نارٌ من السماء فتأكلُها**». ينظر: سنن الترمذي، ٥/ ٢٧١ رقم ٣٠٨٥.

(٣٣) تفسير القرطبي، ٢/ ١٧.

(٣٤) سورة البقرة: الآية ١٤٧.

(٣٥) ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين، دار الكتاب المصري، ٢٢.

(٣٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢/ ٢٧.

(٣٧) الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م, ٦/ ٢٤٩١.

(٣٨) تفسير القرطبي، ٢/ ١٦٣- ١٦٤.

(٣٩) سورة البقرة: من الآية ١٩٧.

(٤٠) ينظر: تفسير القرطبي، ٢/ ٤١١.

(٤١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾، ٢/ ٥٥٤ رقم ١٤٥١.

(٤٢) الخبز اليابس وقيل الكعك خبز فارسي معرب. ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، دار صادر، بيروت، ١٠/٤٨١.

(٤٣) تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: د.السيد الجميلي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١/ ١٨٧.

(٤٤) سورة البقرة: من الآية ٢٥٣.

(٤٥) سنن الترمذي، كتَاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل النبي ﷺ، ٥/ ٥٨٥ رقم ٣٦٠٩.

(٤٦) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرَّقَائق والورع، باب ما جاء في الشَّفاعة، ٤/ ٦٢٢ رقم ٢٤٣٤.

(٤٧) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الزمر، ٥/ ٣٧٣ رقم ٣٢٤٥.

(٤٨) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاصِ والملازمة والخصومة بين المسلِم واليهودي، ٢/ ٨٤٩ رقم ٢٢٧٩.

(٤٩) سورة الأنبياء: الآية ٢٩.

(٥٠) سورة الفتح: الآيتين ١- ٢.

(٥١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٥٢) سورة سبأ: من الآية ٢٨.

(٥٣) مسند الدارمي، باب ما أُعطي النبي ﷺ من الفضل، ١/ ٣٨.

(٥٤) لم أجد لهذا الأثر من تخريج في كتب الحديث والتخريج.

(٥٥) ينظر: تفسير القرطبي، ٣/ ٢٦٣- ٢٦٤.

(٥٦) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(٥٧) وَالدَّحْض وَالْمَزَلَّة بِمَعْنًى وَاحِد، وَهُوَ الْمَوْضِع الَّذِي تَزِلّ فِيهِ الْأَقْدَام وَلَا تَسْتَقِر، ينظر: شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ٣/ ٢٩.

(٥٨) وَهوَ شوك صلب مِن حديد. ينظر: شرح صحيح مسلم، ٣/ ٢٩.

(٥٩) تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضًا، المصدر السابق.

(٦٠) سورة النساء: الآية ٤.

(٦١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١/ ١٦٩- ١٧٠.

(٦٢) ينظر: تفسير القرطبي، ٣/ ٢٧٤- ٢٧٥.

(٦٣) ينظر: المحرر الوجيز، ١/ ٣٦١.

(٦٤) أحمد بن عمار أبو العباس العالم الفاضل المهدوي صاحب التفسير كان مقدما في القراءات والعربية ألف كتبا مفيدة روى عن أبي الحسن القابسي وأخذ عنه أبو محمد غانم بن وليد المالقي وقد كانت وفاته في حدود سنة ثلاث وأربعمائة. ينظر: طبقات المفسرين، الأدنروي، ١/ ٩٧.

(٦٥) سورة البقرة: من الآية ٢٦٦.

(٦٦) ينظر: تفسير القرطبي، ٣/ ٣١٩.

(٦٧) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٣/ ٥٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

٢. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٣. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشوراء، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٥. التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، ط٧، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٦. تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: د.السيد الجميلي, ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
٩. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠. ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين، دار الكتاب المصري.
١١. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدا لله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار الفكر، بيروت.
١٢. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٣. السنن الكبرى، احمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الهند، ١٣٤٤هـ.
١٤. شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
١٥. شرح مقدمة في أصول التفسير، د.مساعد بن سليمان، ط١، دار ابن الجوزي.

١٦. الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.
١٧. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٨. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٩. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٠. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ.
٢١. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، دار صادر، بيروت.
٢٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٢٤. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٢٥. مسند الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرل, خالد السبع العلمي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٢٦. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دمشق.
٢٧. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ط٥، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.
٢٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.